النظرية والتطبيقية ، كما اتاح للالفاظ المعنوية المجردة انطلاقات جديدة مالت بها نحو وضوح اكثر ، وتخصيص ادق ، واصبحت الكلمات بفضل تقدم الآداب والفنون غنية بالايحاءات التي تعمقت اغوار النفس البشرية حتى صار عدد من الفاظ اللغة عالما من الاشارات والرموز المعبرة عن ادق المعاني المجردة واعمقها (15) .

وقال الدكتور عثمان امين : وشواهد الماضي وتجارب الحاضر في الشرق والغرب تثبت في وضوح ان اللغة على الاطلاق هي اقوى عوامل الوحدة والتضامن بين اهلها ، حتى لقد ذهب العالم اللغوي (ادوارد سابير) الى ان اللغة هي على الارجح اعظم قوة من القوى التي تجعل الفرد كائنا اجتماعيا ، ومضمون هذا الرأي امران : الاول ان اتصال الناس بعضهم ببعض في المجتمع البشري لا يتيسر حصوله بدون اللغة ، والامر الثاني أن وجود لغة مشتركة بين افراد قوم او امة من شأنه ان يكون هو نفسه رمزا ثابتا فريدا للتضامن بين الافراد المتكلمين بها (16) .

وقال الفيلسوف (فشته) : ان اللغة تلازم الفرد في حياته ، وتمتد الى اعماق كيانه ، وتبلغ الى اخص رغباته وخطراته . انها تجعل من الامة الناطقة بها كلا متراصا خاضعا لقوانين . انها الرابطة الوحيدة الحقيقية بين عالم الاجسام وعالم الاذهان (17) .

ولنتعمق في مفهوم اللغة ، فاذا هي اهم واعز ما ملكته النفس البشرية من حيث جريانها في عروق الانسان مجرى الدم ، حتى ان كل تعد حيالها يعتبر تعديا حيال الشخصية الانسانية ، وهناك من الفلاسفة علماء اجلاء حاولوا تفسير اللغة باصطلاحات فلسفية دقيقة .

فمن قائل : انها ليست الا مجموعة اختلقها الفكر البشري ، وامكن تعديلها حسب المباديء الموضوعة من قبل .

وقد بذلت جهود جبارة في سبيل ابداع لغات مصطنعة ، الا انها باءت بالفشل كما شهد بذلك تاريخ الانسانية .

وكثير من علماء اللغة يردون نشأة اللغة وازدهارها الى العواطف الانسانية ، وهذا هو الاقرب الى الصواب ، لان اول مدرسة يربى فيها الطفل هي مدرسة الامومة ، وفيها يرضع الطفل من امه اللغة كما يمتص خصائصها الذاتية تماما بتمام .

ويمتاز لسان الانسان بقدرته على التعبير عن الاحاسيس والمشاعر تعبيرا ذا قوة ودلالة .

والفكر الانساني له الاهمية العظيمة في سبيل تقدم اللغة ونموها وازدهارها ، فاللغة هي الصق الاشياء بالانسان واعسرها انفكاكا عنه ، وهي الرابطة التي تربط بين الانسان ، ومعاني الحياة والكون والمجتمع .

جاء في الابنيشد (18) : ان لم يكن النطق موجودا لم نهتد سبيلا الى معرفة الحق ولا الباطل ، ولا الصدق ولا الكذب ، ولا الفرح ولا السرور ، والفضل لفهمنا لمعنى هذه المظاهر ، وادراك مفهوم هذه المشاعر ، يرجع الى النطق ، ولذلك حق لنا ان نتبصر في النطق ونتعمق فيه (19) .

وقال العالم الهندي همايون كبير : لعمري ان ذلك ـ يشير الى النطق ـ من الآلاء التي خصص الله بها الانسان ، دون سائر خلقه ، من ان يقدر على تحليل الموقف وتفكيكه فاقتباسه منه النتائج الممتعة ثم تطبيقها في ظروف اخرى ملائمة حيث دعت الحاجة الى ذلك . ولا شك ان معظم الفضل في ذلك لعائد الى لسان الانسان . وان التقدم في اللغة يدل على مدى التقدم الذي احرزه المجتمع او افراده . ونخرج من كل هذا الى ان اساس اللغة ينبعث عن التأثيرات العاطفية وتقدمها ورقيها ويرد الى التفسح في الفكر ، وتغلب البشر العلمي على العالم ، الا انها قد تتسامى فتجاوز حدود العواطف والفكر كليهما ، حيث انها تنشيء رباطا يربطهما ، فترتد وسيطا ومحيطا معا ، وهي اذن ـ لاشك ـ اوسع نطاقا وافسح مجالا ، فان الكل في مجموعه اوسع واكبر من اجزائه (20) .

فاللغة عنصر ضروري لبقاء وتماسك وحدات المجتمع ـ اي مجتمع ـ فوحدة الغايات والمباديء تدعو الى البحث عن دلالة شاملة للاشياء والافعال ، وعناصر الوجود المختلفة تتجسد في صورة لفظ واحد مشترك ، يدل على هذا الشيء او الفعل ، وبذلك يلعب اللفظ اللغوي دوره كرمز مشترك متفق عليه ، من كافة افراد مجتمع اللغة الواحدة .

وعلماء اللغات : صنفوا اللغات وبوبوها وحللوها ؛ فوجدوا بينها اشباها ، استطاعوا بناء عليها ان يصنفوها ثلاثة اصناف على قدر الامكان ، وهي صنوف ليست متميزة ، بعضها عن بعض كل التمييز ، ولا متفاصلة كل التفاصل .

1 ـ الصنف الاول : اللغات العازلة وهي لغات فيها الكلمة الواحدة غير متغيرة لا تشتق منها كلمات . انها اسم ، وفعل ، وصفة ، وظرف فى آن واحد ، واكثر هذه اللغات كلماتها ذات مقطع واحد ، واكثرها عندها للكلمة الواحدة اكثر من صوت واحد ، تنطقها نغمة عالية ، أو تنطقها نغمة منخفضة ، أو تنطقها متقاصرة ، ولكل من هذه الانغام للكلمة الواحدة معنى بذاته .

وتتعدد الانغام وتختلف ، فاللغة الصينية الكنتونية بها ست نغمات ، وكذا السيامية ، اما لغة (برما) فلها نغمتان .

ومن اللغات العازلة Isolating اللغات الصينية التبتية .

ومن اللغات العازلة كثير من لغات افريقيا وهي تبلغ ما بين خمسمائة الى سبعمائة لغة .

ومن اللغات الهندية الاوربية ، وهي غير عازلة ، لغات مالت الى هذا المزاج العازل بعض الشيء لاسيما الانجليزية مثال ذلك لفظ Light انه اسم وفعل وصفة . النور او ينير أو منير ، ويفرق بين المعاني الثلاث موضع اللفظ من الجملة ، اي السياق .

2 ـ الصنف الثاني : اللغات اللاصقة وهي التي تؤلف الكلمات فيها باللصق فيتغير معناها ويتبدل .

واللصق يكون باضافة مقطعين بعضا الى بعض فتكون كلمة لها معنى جديد ، أو قد تصنع الكلمة من اكثر من مقطعين .

وهذا الصنف اللاصق Agglutinative من اللغات هو اكثر الصنوف الثلاثة فى اللغات عددا ، وهي يتضمن اللغة السومرية القديمة ، ولغة اورال والقوقاز ، واللغات الدرافيدية واليابانية والكورية ، ولغات المحيط الهادىء ، واللغات الافريقية ، واللغات الوطنية لمواطني امريكا الاصليين .

3 ـ الصنف الثالث : اللغات المتصرفة ، وهي اللغات التي تدخل كلماتها التصريف ، فالكلمة يتغير بناؤها ، فتدل على معنى جديد ، كتب ، يكتب ، كاتب ، مكتوب ، كتاب ، كتب وما الى ذلك .

ويدخل فى هذا الصنف اللغات الهندية الاوربية ، وكذا اللغات السامية ومنها اللغة العربية وكذا الحامية.

ويلاحظ أن بعضا من هذه اللغات المتصرفة Infectional ما يضيف الى الكلمة مقطعا تصدر به الكلمة فيتغير معناها Préfixe اي سابقة ، أو مقطعا تذيل به الكلمة فيتغير معناها Suffixe اي لاحقة او كاسحة ، وهذا من صفة اللغات اللاصقة (لا المتصرفة) ومعنى هذا ان اللغات قد لا تكون لاصقة خالصة أو متصرفة خالصة .

ومثال اللغات المتصرفة التي مالت الى اللصق ، اللغة الانجليزية فنقول Hope ومعناها « الرجاء » ، ونقول Hopeful ومعناها مليء بالرجاء ، ونقول Hopeless ومعناها « لا رجاء فيه » ، ونقول Sense ومعناها « معنى » ونقول Non sense ومعناها « لا معنى له » وهلم جرا .

واذا اردنا أن نصرف اصول اللغات ، وهل هي من أصل واحد ، أم من اصول متعددة ؟

وجدنا ذلك فى منتهى الصعوبة ، فالعالم لم يكشف للآن اصول اللغات الاولى ، ولم يعرف اي الاصول ـ من اللغات التي توصل اليها ـ أصل ، الا انه مما لا يسوغ انكاره أن العلم لم يعرف الكلمة الاخيرة وهو كل يوم يأتي بجديد ، ولعله يأتي بجديد يوصل الى قديم ، ممتدة جذوره فى الماضي السحيق .

ولغات العالم التي هي من اصول غير معروفة نذكرها فيما يلي :

1 ـ السامية وفروعها وهي : العربية والحبشية والحامية والعبرانية .
2 ـ الملاي والبولينز .
3 ـ الدرافيدية .
4 ـ البنتو .
5 ـ الاوربية الهندية وهي تتفرع الى :

أ ـ الايرانية الهندية وهي : الافغانية ، الاردو ، الهندستانية ، البنغالية ، الكردية ، السيلانية ، الفارسية ، السنسكريت .

ب ـ السلتية ، وهي : الويلزية ، الارلندية ، البريتونية .

جـ ـ الالبانية .

د ـ الجرمانية التيوتونية ، وهي : الدنمركية ، الانجليزية ، الالمانية ، يدسن « أي الاسرائيلية الالمانية »، السويدية ، الايسلندية ، النرويجية .

هـ ـ البلطيك ، وهي : اللثوانية ، الليتية .

و ـ السلافية ، وهي : البولاندية ، الروسية ، البلغارية ، التشيكية ، السلوفاك ، السلوفين .

ز ـ الارمنيـــة .

ح ـ أ ـ اللاتينية ، ب ـ الايطالية الرومانسية ، وهي : الرومانية ، البرتغالية ، الاسبانية ، الفرنسيـة ، الطليـانيـــة .

ط ـ اليونانيـــة .

هذه هي شجرة اللغات الاوربية الهندية .

6 ـ اليابان ، كوريا .

7 ـ الاورال وما اليهـــا .

8 ـ منغـــوليا .

9 ـ الصين والتبت (الهند الصينيـة) وهـي : الصينية ، تيلاندية ، برماوية ، وما اليها (21) تلك اصول لغات العالم ، وهي تعطي فكرة عامة عـــن عائلات لغات الارض المختلفة ، وما تفرع منها ، والفرع الواحد يحمل لغات متشابهات .

ان جذورا نشأت منها اللغات ، لكـــن التاريـــخ طواها وهي اليوم ترقد في أعماقة يعجز الانسان عـــن استشـفافها ، وليس للانسـان الا الحاضر مـن هـــذه اللغات ، وهذه اللغات الحاضرة انما هـــي انسال تلك اللغات البعيدة الغابرة .

والولد كثيرا ما يحمل من أجداده ، سمات تـدل عليهم مهما طال الزمن . بل كل الكائنات الحية ، تحمل الخصائص الذاتية لآبائها تبعا لقانون الوراثـة ، مـــع موافقة قانون التطور العام .

كذلك اللغات تطورت مع الزمن تبعا للقانون العام، الا ان الوراثية تدل على الاصـــل أو ترشد اليـــه ، أو تحتفظ بعناصر اصيلة من الاصول الاولـــى .

مـراجـــع البحـــث

1 ـ مجلة « المعرفـــة » السنة الاولى ج 3 ص 11 مايو 1960 المملكة السعودية .
2 ـ الخصائص لابن جنـي ج 1 ص 31 ـ 32 ط الهلال بالفجالة (مصر) 1331 هـ
3 ـ مجلة « اللسان العربي » العـــدد 3 ص 54 المغرب ـ الرباط 1385 هـ
4 ـ مجلة « دعوة الحق » العدد 5 السنة السادسة 1382 هـ المغرب
5 ـ نفس المصدر السابق ص 29 ـ 40
6 ـ مجلة (اللسان العربي) العدد 3 ص 55 الرباط ـ المغرب 1385 هـ
7 ـ كتاب (اللغة العربية) لعبد العزيز عبد المجيد ج 1 ص 19 ـ 20 القاهرة 1961 م
8 ـ مجلة (اللسان العربـــي) العـــدد 3 ص 55 الرباط 1385 هـ
9 ـ مجلة (المجلـــة) العـــدد 114 يونيه 1966 القاهـــرة
10 ـ مجلة (المجلـــة) العدد 114 مقال الدكتـور تمام حسان ـ القاهرة
11 ـ مجلة (المنـــار) للسيد رشيد رضا المجلد 3 ص 303 ـ القاهرة
12 ـ مجلة (منبر الاسلام) مقال عبقرية اللغة يوليو 1961 م ـ القاهرة
13 ـ الخصائص لابن جني ج 1 ص 21 ط الهـــلال 1331 هـ القاهـــرة وكتاب التعريفات للجرجاني مادة « لغـــة » .
14 ـ كتاب (اللهجات العربية) لابراهيم نجا مطبعة السعادة بمصر 1965 م
15 ـ مجلة (اللسان العربي) ع الاول ص 28 المغرب 1381 هـ
16 ـ كتاب (فلسفة اللغة العربية) للدكتور عثمـان امين ص 16 ـ 17 ـ القاهرة ومحاضرات الموســـم الثقافي لجامعة الازهر 1962 م
17 ـ مجموعة (تراث الانسانية) المجلد 2 العدد 3 سنة 1964 م ـ القاهرة
18 ـ الابنيشد : مجموعة كتب دينية هندوسية ـ الهنـــد
19 ـ مجلـــة (ثقافـــة الهنـــد) المجلد 11 بحث (انيرودها بهارى سرن) ـ الهند
20 ـ مجلة (ثقافـــة الهنـــد) العدد 2 المجلـد 11 مقال البروفيسور (همايون كبيـــر) ـ الهنـد
21 ـ مجلة (العـربـــي) العدد 98 يناير 1967 ـ الكويت